

# عَفْرِيشُ الدِّلِيلِ

كان الوقت ابلان الظهيرة .. وقد اطلتني من وهج الشمس شجرة عتيقة كأنها والزمن صنوان .. وجلس العجوز أمامي يسيح بمسيحة في يده وينتمم بألفاظ لعله يستغفر ربه .. وبدأ اليت أمامي كأنه قلعة ضخمة من قلاع العصور الوسطى .. فرددت لو استطعت أن أحرق بيصري تلك السحب المسدلة من الجدران الضخمة حتى أبصر ما بداخلها من الأحاجي والأسرار .. وقلت للعجوز أستحبه على الكلام :  
- تقول ان هذه الدار لم يقطنها انسى قط ؟ أتقصد بذلك أنه قد يكون بها سكان من نوع آخر ؟

- نعم يا بني .. لقد استبدلت الدار سكانا بسكان .. لقد كانت الدار تمنح بالحياة .. فأصبحت تضيح بالصمت والعدم ، ولو أنني لم أرها قط الا في هذا الصمت والعدم .. فمئذ أن وعيت على هذه الدنيا ، وأنا أبصرها كما تبصرها الآن .. موحشة كئيبة .. مفقرة مظلمة .. ولكن أبي قد أنبأني بقصتها التي سمعها عن أبيه عن جده .. فقد توارثت

عائلتنا الحراسة في هذه الدار جيلا بعد جيل .. حتى أصبحنا لازمة من  
لوازمها كهذه الشجرة التي تظلنا الآن ..

تبدأ قصة هذه الدار في غابر الزمن عندما كانت قصيرا لحاكم  
المدينة وكان رجلا حكيما عادلا .. وكانت قلوب الرعية تفيض بحبه  
والولاء له .. ولكن البلاد كانت ترزح في ذلك الوقت تحت نير سلطان  
أحسى .. وكان على حاكم البلدة أن يؤدي له جزية سنوية فادحة ..  
ففى إحدى السنين طلب منه السلطان أن يضاعف الجزية ، ووجد  
الحاكم أن ذلك افراط فى الحيف والظلم .. فرفض أن يعيب السلطان  
الى مطلبه وأعلن العصيان .

وكان السلطان فى طائشا أحمر فسلكه الغضب وأمر بأن يجهز  
جيشا لتأديب ذلك الحاكم العاصي .

وبدأ الحاكم بكون جيشا من أهل المدينة لصد الجيش الغازي ..  
وسرعان ما اجتمع أهل المدينة وقد تناولوا كل ما استطاعت أن تصل  
إليه أيديهم من أسلحة وهراوات ، وفؤوس .. واصطدم جيش الطعام  
بأهل المدينة البواسل فقتل بهم فتكا شديدا .. وتحصن الحاكم وبعض  
من جنوده فى هذه الدار .. فلم تطل مقاومتهم الا فترة وجيزة .. استطاع  
الغزاة أن يفتحوها بعدها الدار فسقوا الحاكم ورجاله كأسا دهاقا ومزقوا  
جثثهم اربا اربا .

وسيفت النساء سبايا .. وبدأ السلطان الأحمر يستعرضهن واحدة  
واحدة .. وكانت أولاهن ابنة الحاكم ، فأخذ الفتي يجماعها .. ولم  
يستطيع أن يقاوم بريق عينيها أو سحر شفيتها ، ولم يحاول أن يرى غيرها  
من السبايا .. بل أمر حاشيته وفواذه بأن ينصرفوا عنه ويتركوه مع الفتاة .

وقع السلطان في شرك هواها وحاول أن يستميلها اليه . ولكن قلبها كان يفيض باليقظ والكراهية له .. ولم يجد انجذابه اياها بالزواج .. وبأن تكون ملكة متوجة ، فقد استمرت تلقاه في جمود كأنها جسد بلا روح .. وأخيرا نفذ صبره .. فصمم على أن يتزع منها الحب انتزاعا .. فأمر بأن توضع في قبو في أسفل الدار .. وأحضرت أحد البنائين وأمره بأن يقيم جدارا يسد به باب القبو ، فلا يترك منه إلا فتحة ضيقة .. وأبأ الفتاة أنه سيدفنها حية في هذا القبو أن استمرت على ازدرائها اياه واحتقارها له .. وأخبرها أنه سيرك لها فرصة يوم لتبته بما استقر عليه وأنها .. وأن عليها الآن أن تختار بين حيه وبين هذه المنة المخيفة .

وفي اليوم التالي نزل الفتى الى القبو وسألها : اما زلت مصرة على تمورك ؟ .. ولكن الفتاة استكفت أن تجيبه .. فما كان من الطامحة إلا أن سد الفتحة الباقية من الجدار .. وترك الفتاة حية في قبرها .

وفي نفس اليوم اشتعلت بين جنود الفتى نية قتلوا عليه وهاجموا القصر ، فحاول تهدئتهم ، ولكن أحد الجند طعمه في صدره فخر الى الأرض صريعا ، وأحس أن نهايته قد أخذت تدنو وشعر بالندم بخبره على حبه الفتاة حية في ذلك القبو .. وبدأ يتحامل على نفسه فأمسك بفأس وأخذ يزحف بها نحو القبو حتى وصل الى ذلك الجدار الذي أقامه ، وهم برفع الفأس ليثقب الجدار ، ولكن قواه خائفة فهوى الى الأرض جثة هامدة .. وبقيت الفتاة حية في قبرها .. وبعد بضعة أيام تار أهل المدينة فطردوا جيش الغزاة . واستردوا دار الحاكم ولكن أحدا لم يحسر أن يقطنها أو يزاحم هذين الروحين اللذين يأتیان أن يفارقاها .. فأحداهما حية في القبو الأخرى حائرة اما الجدار تحاول انجذابها .

وحسنت المعجوز فكذبت أنصهر من فرط الضحك .. يا للأفصوحة  
الملتعة ! أهذا هو ما يخيف الناس من سكنى الدار ؟ روح سحبة في  
القبو وروح تحاول هدم الجدار .. أمن أجل هذه الخرافة المضحكة التي  
يروونها المعجوز الأحقق تظن الدار مهجورة مقفرة طوال تلك السنين ؟ ..  
وإذا كانت تلك العقول الضيقة قد صدقت هذه الأسطورة الركيكة ..  
فلم لا يحاول أحدهم أن يدخل الدار فيهدم بنفسه ذلك الجدار ويطلق  
الروحين الحائرين إلى حال سبيلهما ؟

ونظر إلى المعجوز نظره إلى طفل أبله .. ثم هز رأسه وقال في  
هلهة :

- يا بني . كلف عن السخريه فما رويت لك الا ما سمعت .  
وما أظن أن أبي قد روى لي الكذب .. وعلى أية حال ، فهب أن القصة  
كلها محض خرافة .. فماذا ترى في أولئك الذين سحروا منها كم  
سحرت أنت ، وحاولوا أن يقطعوها ، فلم تمض بضعة أيام الا وقد رزقوا  
بموت واحد منهم ، فمجلوا بالفرار منها وتركوا الدار يتحفها الشبهة  
ورباشها الفخمة .. دون أن يحسروا على العودة إليها قط .

- أما انهم رزقوا بموت واحد منهم .. فلا أظن الدار لها دخل  
في ذلك الأمر .. الا اذا كنت تظن أنهم مخلدون في الحياة .. وأما  
أنه مات بعد بضعة أيام من سكنهم الدار فالمسألة لا تعتبر أن تكون  
مصادفة .

وتشعب بي الحديث مع المعجوز في نواح مختلفة حتى أحسست  
بقرصة الجوع تلدغ أحشائي ، فعدت أخرجني إلى الفندق الذي أنزل  
فيه والذي يعد كثيرا عن الدار .

ولم يكد الظلام بسدل ستوره حتى وجدتني أعود أتراجي إلى الدار .. لقد كنت في لهفة إلى التسلل إليها والتحول في حجراتها ورؤية ما بها من تحف مبهجورة معطلة ، ولم يكن يلوح لي أي أثر غريب أو بعيد لتلك الأرواح التي حدثني عنها المعجوز فما كانت أو من قط هي أية لحظة من لحظات حياتي أن هناك عفاريت أو شياطين أو ما يشابههما ، وما كنت لأشغل ذهني بالتفكير فيما هو ليس بكائن إلا في الأوهام والأحلام .

ولم تكن هناك أية صعوبة في التسلل إلى الدار ، فالمعجوز كثير النوم بطيء الحس .. وهو لا يخطر لباله قط أن هناك من يجرؤ على الاقتراب من الدار .. بل اقتحامها والنهجم على سكانها من الأرواح والأشباح .

وقفرت على الصور .. ثم عالجني إحدى النوافذ بفأس عثرت عليها في أرض الحديقة فلم أجد صعوبة في فتحها .. وبعد هبة وجدت نفسي في حجرة موحشة ، شديدة الظلمة ، فأشعلت عود ثياب نيت على ضوءه بضع شموع في ركن الغرفة فأسرعت بإشعالها .. وسرت أتجول في الدار .. فإذا بها دار رحبة فسيحة مليئة بالتحف القيمة والتماثيل والصور .. ولم أجد بها قط ما يخيف أو يثير الذعر .. وأخذت أفكر في سخف الإنسان الذي يهجر مثل هذه الدار خوفاً من أرواح مزعومة .. واستعدت في رأسي تلك القصة التي سمعتها من المعجوز .. فوجدتني أضحك مرة أخرى . ولكني توقفت عن الضحك فجأة .. إذ سمعت حركة خفيفة .. وخيل لي أن هناك وقع أقدام تقترب .. فخشيت أن يكون الحارس قد تبع من غفلته وأبصر بضوء الشموع يبدو من خلال النوافذ فدخل الدار يستجلى الأمر .. وخشيت أن يطس

العجوز لصا قد اقبحم الدار يعني السرقه .. فيصبح مستجدا بأهل  
الناحية .. وأقع أنا في مأزق الله أعلم بنهايته .

ولم أدر كيف أحيب اذا ما سئلت عن سبب وجودي في ذلك  
الوقت من الليل في هذه الدار الخاوية .

وتخيلت نفسي أعذب وحققى كل من هب ودب من حبة  
ورجال .. ثم رأيتى قد وقعت في أيديهم ، فتهافتوا على ضربى ولكنى  
كانهم كانوا ينتظروننى بفارغ الصبر .

ولم يأخذ منى التفكير في هذا المنظر البغيض الا نواصى معدودات  
يرق لى على أثرها عاطر وجدت فيه غير منقذ من هذا المأزق الحرج ..  
بل وجدت فيه تسليه وحيورا .

هذا العجوز الأحمق الذى أسمع وقع أقدامه تقترب والذى  
سيضبطنى بعد لحظات مثلما بحرمة السرقه .. ليس هناك أسهل من  
خداعه .. فلا شك أنه يؤمن ايمانا قويا بوجود أرواح في الدار .. فلم  
لا أكون أنا أحد هذه الأرواح فأجعله يهر أمامى مرتعدا ويعود أدراجه  
من حيث أتى .

وفي لحظة عين فعدت مكاني وأمسكت بالعماس التي فتحت بها  
النافذة ، وجلدت غطاء أبيض فلففت به جسدى من قمة رأسى الى  
أخمص قدمي وأطفاأت الشموع ووقفت أنتظر ..

وساد السكون .. فلم أعد أسمع بعد ذلك وقع الأقدام التي كانت  
تقترب .. وحيل الى أن العجوز قد عاد أدراجه وكفى الله المؤمنين  
الفتال .. فأحسست بالضيق .. وتحولت رغبتى من الفرار والنجاة ..  
الى رغبة في الهزل والمزاح .. ووجدت أن هذه الفرصة - فرصة أن

يكون المرء عفرينا أو جنيا أو روحا - قد لا تسبح لي مرة أخرى في  
هذه الحياة .. فخطوت بضع خطوات في الظلام ، ودللت إلى الحجرة  
التي تحيلت إلى سمعت صوت الأقدام يصدر من ناحيتها .. وقد  
أمسكت بالقأس وجمعت أطراف الملاية البيضاء حول جسدي فلم يد  
منها إلا عيى .. وانتظرت أن أرى المعجوز وقد تسمر في مكانه من  
فرط الفزع .

ولكني بدلا من أن أرى المعجوز .. رأيت عفرينا قد الشح بالياض  
وملكتني الحيرة فلم أدر كيف أبدا الحديث .

وأخيرا تحدثت العفريت ليأني من أكون .. فإذا بصوته مليء  
بنعومة ورقة ، من النوع اللطيف .. فأدركت أنها عفرينة .. واطمأن  
قلبي قليلا .. ورأيتني أعود بذهي دون أن أدري فأستعيد قصة المعجوز ..  
وقلت لنفسي إن صاحبتنا لا بد وأن تكون الفتاة سجيبة القيو ..  
وأحسست برجفة تسري في بدني فقد خشيت أن نظمتي الغنى الذي  
سجنها فيكون نصيب منها عداوة لا أستحقها .. فأسرعت لنفي الشبهات  
عن نفسي ولأبين لها حسن نيتي .

قلت : الظاهر أنني تأخرت قليلا .. فقد كنت في طريقى إلى القيو  
لأطلق سراح سيدتى ..

وسادت غيرة صمت قبل أن تقول :

- أبعد هذه القرون التي مضت .. جئت الآن تفكر في إطلاق  
سراحي ؟

يا للسحرة ! إذن فهذه العفرينة البلهاء نظمتي عفرينا ! والله  
ماظننت قط أن العفاريات يمثل هذه السلاجة !



وانخرت من الشبح الأبيض وجلوت على ركبي وقالت هاتفا :  
هذه القرون التي ولت .. لم تزدني الا لهيبا .

وعجل الي أن أبصر ابتسامة مخرقة تلمع في عيني العفريتة .. ثم  
سمعتها تقاطعني بصوت يخلبه الضحك : - ضم الملاية قليلا الي  
جسدك .. فالعفاريت لا يلبسون البطلون .

ونظرت الي أسفل فاذا بالملاية قد انحسرت عن ركبي فظهر  
البطلون .

يا للكارثة .. لقد اكتشفت الخيطة كذبي .. وشعرت بالحقيرة  
تتملكني ولم أستطع الا الاستمرار في الكذب فسألتها : ومن حرم علي  
العفاريت لبس البطلون .. أليس فيه سر من العري ؟ .. ان كان  
البطلون يعتبر لديك مانعا من أن أكون في زمرة العفاريت .. فأظن أن  
السألة بسيطة جدا .

ثم مددت يدي الي الحزام وهممت بخلع البطلون .. وبدأت من  
العفريتة صرخة عنجل ورأيتها ترفع يدها فتحجب بها عينيها .. بينما  
انحسرت ملايحها قليلا . فأبصرت منها ما جعلني أشك كثيرا في سلامة  
عقلي !!

يا للذكاء الذي عيا .. العقل الذي خيل .. هذه العفريتة لابد وأن  
تكون آدمية من لحم ودم ، فأغلب ظني أنها قد سمعت من الحارس  
المحور القصة كما سمعتها وساقها حب الاستطلاع كما ساقني .. ثم  
أحس بضجبي كما أحسست بضجبتها .. ففعلت كما فعلت والتقيت  
نحن الاثنين .. ولكنها كانت أكثر مني ذكاء فكتشفت أمرى قبل أن  
أكشف تديرها .



ولم أُرَ خيراً من أن أقوم فأحضن الفتاة وأوسعها اثماً وتقبلاً ..  
وحاولت التخلص من ذراعى عاتكة : (انى أمقتك .. اننى أفضل العودة  
الى سجنى فى القبر المظلم) .

يا للفتاة الحمقاء .. أما زالت مصرة على أنها عفريتة !! .. اداً  
ليكن لها ما تشاء .. ورقعت الملاية من الأرض فلنلت بها نفسى  
وأمسكت بالفأس .. وسألتها التكرم بلقاء آخر .

وفى اليوم التالى تسلمت الى الدار ولرتديت ملابس العفاريث ..  
وبعد لحظات أحسست بوقع أقدام العفريتة مشححة بملاءتها البيضاء ..  
وكان بينا حديث ذو شجون .. وعندما افرقنا كانت العلاقات بيننا  
علاقة ود وصداقة . وتكرر اللقاء بيننا .. فى نفس الموعد ونفس  
الطريقة .. وبدا الحب ينشب مخالبه فى قلبنا رويدا رويدا .

وأخيراً أبصرت العفريتة للمرة الأولى فى وضع النهار .. ورأيت  
هى الأخرى .. وليتها ما رأيتى .. فقد كنت أسير مع إحدى صاحباتى .

وفى المساء ذهبت الى الدار .. وانظرتها فلم تحضر .. ومضت  
بطعة أيام وهى مغممة فى حجرتها .. وأخيراً التقيت بها فى خيعة ذات  
يوم .. وأبصرت فيها أدمية فاتكة ساحرة .. فالتحيت بها حالاً وهيمت  
فى لذنها :

- ما ظننت قط أن العفاريث تغير من الأدميين !

- كفى عبثاً .. لا أحب الخديعة .

ونظرت الى الفتاة فأدركت أن نفسى الآخر لا يمكن أن يكون  
الآهى .. فخرمت على الزواج منها وأن تظن الدار التى التقينا بها أول

مرة .. وأقمنا العرس في الدار وملأناها بهجة وخبورا .. ومضت بضعة  
أيام ونحن نعلم بالحب والهناء .

و ذات يوم أخبرتني الفتاة المحبوبة أنها تحس بوعكة .. ولزمت  
القراش وأخذت في الذبول كأنها زهرة تلهو . حتى حلت نهايتها  
أخيرا .

وتركت الدار المخيفة ورأيت حارسها ينظر الى باثفاق وسمعه  
يهمس : لقد حذرتك فأخبرتني أن المسألة لاتعدو للصدقة .. ليتك  
صدقني !

\*\*\*